الفصل الثالث)

"العلوم التطبيقية في العصر المقدوني"

ويتضمن:

- العلوم القانونية.
- العلوم العسكرية.
- العلوم العلميـــة.

(الفصل الثالث)

"العلوم التطبيقية في العصر المقدوني"

العلوم التطبيقية:

نالت العلوم التطبيقية اهتماما كبيرا في العصر المقدوني وكانت من السمات المميزة لهذا العصر وكان من أهمها:

أولاً: العلوم القانونية:

كان لأباطرة هذه الأسرة نشاطا كبيرا في الناحية التشريعية منذ عهد أول أباطرتها الإمبراطور باسل الأول Basil I الذي أراد إحياء القوانين القديمة، وإعادة صياغتها بما يتناسب مع المتغيرات والمتطلبات الضرورية في عهد هذه الأسرة(٤٩٦).

ومن أبرز المجموعات القديمة التي اعتمد عليها الأباطرة المقدونيون قوانين جستنيان Codex Justinia(٤٩٧)، والإيكلوجا ECloga التي أصدرها ليو الثالث Leo III الأيسوري عام ٧١٧-٧٤١م/٩٩-١٢٤هـ(٤٩٨).

---

(496) Basil I, The Procheiros, P.I, Vasiliev, History of the Byzantine Empire Vol I, P. 339. George, History, p. 220

عن قوانين جستنيان انظر:

Justinian, manual or civil law trans Humphreys, second ed, London, 1856. Mass, M. Age of Justinian, Cambridge, 2006, pp.161-184.

أسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، جدة، دار المجمع العلمي، ١٩٧٧، ص ٧١، ص٧٧.

(497) Mass, Age of Justinian, PP. 161-163

أسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، ص٧١-ص٧٢.

بعد ستة أشهر من تولية جستنيان العرش أعلن في مجلس الشيوخ عن رغبته وعزمه بإصدار موسوعة القانون الروماني تكون مختلفة تماما عن القوانين القديمة وتتسم بالإيجاز والوضوح وتمكنت اللجنة القانونية التي شكلها في إبريل عام ٥٢٩م من إصدار المجموعة القانونية التي عرفت باسم قوانين جستنيان. Coxdex Justinian وبعدها أصدر الموجز Digestum or pendectae الشرائع Institutiones والمتجددات Novellae

للمزيد انظر: Mass, Age of Justinian, PP, 161-163

أسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، دار المجمع العلمي، ص ٧١، ص٧٧.

(498) Talbot, Becoming Byzantine, P.25 Vasiliev, History, vol I, P.340

ليو الثالث: كان ابن اسكافي خدم في الجيش ونجح في أن يصبح قائدا أو إمبراطور فيما بعد وأسس الأسرة الأيسورية التي عرفت بالأسرة اللايقونية وتوفى عام ٧٤١م.

إلا أن هذه القوانين لم تكن ملائمة للتغيرات التي حدثت في عهد الأسرة المقدونية[٤٩٩]، الأمر الذي جعل أباطرتها يسعون إلى إصدار مجموعات قانونية تلائم روح العصر، لذا اتجه الإمبراطور باسل الأول إلى إصلاح القانون، وإصدار قوانين جديدة باللغة اليونانية ووصف هذه المحاولة بقوله "تنقيح القوانين القديمة"[٥٠٠].

وحاول فيها الموائمة بين التشريع المسيحي الأرثوذكسي وتجمع التراث القانوني القديم، وحرص على أن تكون معبرة عن واقع المجتمع ومبسطة لتكون في متناول الناس[٥٠١]، وكان باسل يعلم أن إكمال هذا القانون سوفيستغرق وقتا كبيرا؛ لذا أصدر ملخصا بعنوان Prochiron "المجمل" أو الدليل القانوني بين عامي ٨٧٠ و ٨٧٩م/١٥٣-١٦٣هـ[٥٠٢].

للمزيد عنه وعن الأسرة الأيسورية:

See Howland, A universal dictionary, P 279, Rosser, Historical dictionary, P. 242.

(٤٩٩) التغييرات التي ظهرت في عهد الأسرة المقدونية:

١- اللغة فقد صدرت المجموعة القانونية في عهد الإمبراطور جستنيان باللغة اللاتينية فيما عدا الجزء الأكبر من الكتاب الرابع المعروف باسم المتجددات فقد ظهر باللغة اليونانية ونظرا لأن اللغة اللاتينية انهارت انهيارا شديد في القرن الثامن الميلادي، وحلت محلها اليونانية كتابه وتحدث ولم تستخدم اللاتينية إلا في العملة وفي الصيحات التي يصاح بها في الاحتفالات الرسمية فقد كان من الضروري إصدار مجموعات قانونية جديدة في عهد الأسرة المقدونية باللغة اليونانية كي يتمكن الشعب من الاستفادة بها.

٢- ازياد نفوذ كبار الملاك، فقد تعرضت طبقة صغار المزارعين الأحرار في القرن العاشر الميلادي لخطر الفناء بسبب جشع كبار الملاك، وقيامهم بامتلاك أراضيهم لمختلف الوسائل وذلك لأسباب عديدة، كما ذكرنا في الفصل الأول.

٣- الرواج التجاري والصناعي، إذ تعددت الصناعات، وظهرت النقابات المختلفة الأمر الذي احتاج إلى تنظيمها.

٤- ارتفاع عدد السكان وزيادة العمران الأمر الذي تطلب وضع قواعد لإقامة المباني على الأراضي الزراعية والالتزام بمناطق معينة.

انظر عفاف صبر، الإمبراطورتان، ص ٢٦٣.

أسمت غنيم، إمبراطورية، جستنيان، ص ٧٣-٧٤، العربي، كتاب والي المدينة، ص ١٣٥-ص١٨١.

وسام عبد العزيز، أضواء على مجتمع القسطنطينية، ص١٧١.

(500) Mousourakis, The Historical and Institutional, pp406-407.
Baynes, Byzantium, P.21 Vasiliev, History, Vol I, P. 340.

ج. م. هسي. العالم البيزطي، ت رأفت عبد الحميد، القاهرة، عين شمس، للدراسات ١٩٩٧م، ص ٣١.

(501) Krumbacher, The History of Byzantine Literature, P. 48

الناصري، الروم والمشرق العربي، ص ٥-٣.

(502) Vasiliev, History, Vo1, I, P.340

وعنونه باسمه واسم ولديه القيصرين قسطنطين Constantine و ليو Leo[٥٠٣] وابتدأه باقتباسات من كلمات الرب، ومن كلمات سليمان وإسحاق، وتشغل هذه الاقتباسات حوالي ربع مقدمة الدستور "الكتاب". ويوضح فكر الأباطرة، حيث أنهم ينظرون إلى الرب على أنه المدير والمتمم لكل أعمالهم وحيث أنهم يرون كيف أفادت الشريعة السماوية الإنسانية، فإنهم قد عزموا على إعداد عمل عن القانون[٥٠٤].

وفي تمهيد الكتيب الجديد شرح الأباطرة الأسباب التي دعتهم إلى التخلي عن Ecloga الإيكلوجا كالتالي:

"حيث إن مجموعة النصوص الشاملة هذه قد قام بها أباطرة سابقين:فلربما يتساءل البعض لماذا لم تكتف فقط بإعادة إصدارتك النصوص في طبعة ثانية؟

لكن يجب أن نعي أن هذا الكتاب الذي أسموه كتيبا أو دليلا كان تحريفا لقوانين جيدة، ومن ثم فهي تسبب ضررا للدولة، فأي شخص عاقل يرى أنه من المناسب مراجعة عمل كان الغرض منه تحريف القوانين التي وضعها العديد من الأباطرة الأوائل[٥٠٥].

ومعنى هذا أن أباطرة الأسرة المقدونية يرون في الأكلوجا تزييف وتحريف القوانين القديمة، ومن ثم يتعين عليهم مراجعتها.

وليس معنى ذلك أنهم رفضوها تماما، بل عملوا على معالجتها وإعادة صياغتها[٥٠٦].

وصرح الإمبراطور في مقدمة هذا الكتاب برغبته في العودة إلى قوانين جستنيان[٥٠٧]، ومن ثم فإن الكتيب قد صمم لكي يؤكد على القوانين الجيدة، وضرورة فهم واستيعاب القوانين التي يرجع إليها بكثرة والتي يجب أن تكون معلومة للجميع[٥٠٨].

وانقسم هذا العمل إلى أربعين فصلا اشتمل على قوانين الزواج وما يتعلق به من الخطبة

---

(503) Basil I, The Procheiros, P.I
(504) Basil I, The Procheiros, P.6
(505) Basil I, The procheiros, P.6
(506) Basil I, The procheiros, PIX, .
(507) Baynes, Byzantium, P.21
(508) Basil I, the procheiros, PP.6-7

والهدايا[٥٠٩]، والميراث[٥١٠]، والطلاق[٥١١]، والقروض[٥١٢]، والإيجار[٥١٣]، والشراكة[٥١٤]، وغيرها[٥١٥].

وحقق كتاب "المجمل" انتشاراً واسعاً في بيزنطة وظل محتفظا بقيمته حتى انهيار الإمبراطورية[٥١٦]، وترجم مثل الأكلوجا إلى السلافية والروسية[٥١٧].

وقد أصدر الإمبراطور باسل كتابا ثانيا عرف باسم المدخل "الأباناجوج EPanagoge فيما بين عامي ٨٧٩-٨٨٦م/ ٢٢٦- ٢٧٣هـ، وقيل في السنة الأخيرة من حكمة عام ٨٨٥-٨٨٦م/ ٢٧٢-٢٧٣هـ، وهو مجموعة من القوانين عكف على جمعها مجموعة من المتخصصين[٥١٨].

ويرى البعض أن الأباناجوج لم ينشر أبدا وظل مسودة مهملة، وهناك من يرى أنه صورة من

---

(509) Basil I, The Procheiors, PP. 59-70
(510) Basil I, The Procheiors, PP. 72-80
(511) Basil I, The Procheiors, PP. 82-91
(512) Basil I, The Procheiors, PP. 93-97
(513) Basil I, The Procheiors, PP. 97-101
(514) Basil I, The Procheiors, PP. 102-106

(٥١٥) عن مقتطفات من هذه القوانين انظر ملحق رقم ٣.

(٥١٦) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٣-ص١٤٤.

(517) Vasiliev, History, Vo1 I, PP.341-342

وهناك دليل حاسم على أن القانون الروماني المكتوب باليونانية في الـ Ecloga الخاص بـ ليو الثالث والمجمل Procheros الخاص باسل الأول قدطبق على رعايا الإمبراطورية الذين يتحدثون اليونانية في جنوب إيطاليا وهذا القانون معروف باسم Procheiron Legum وتصنيفه بين المخطوطات اليونانية في مكتبة الفاتيكان هو G.r. 845.

وقد اكتشف أو بالأحرى لوحظ وجودة من قبل كاباسو Capasso ولاحقا قام براندليون Brandileone بتنقيحه ونشره وقد نسخت المخطوطة في القرن الثاني عشر في قرية تدعي سوفبراتو Soverato في مقاطعة كاتانزرو Catanzaro ومما لا شك فيه أن المخطوطة قد نسخت عن مخطوطه سابقة كانت مؤلفة جزئيا من الـ Elcoga وجزئيا من Procheiron ويعتقد براندليون Branelileone أن المخطوطة قد ألفت في نهاية القرن العاشر الميلادي أي على الأرجح في عهد باسل الثاني Basil II ويبدو أن ذلك يتزيد أيضا مع سلطة Basileis في جنوب إيطاليا.

وبمرور الزمن تم تجاهل ونسيان توصيات باسل الأول في كالابريا Calabria واستخدمت نصوص الكتيبين معا ولم ينظر إلى النصوص على أنها مراسيم من هذا الإمبراطور أو ذاك أي ليو الثالث أو باسل الأول بل نظر إليها على أنها مجموعات من القوانين العرفية القديمة التي كانت موجودة عند الرومانيين المحليين منذ قديم الأزل.

See Basil I, The procheiros, P. 2.

(518) Basil I, the Procheiros, P. 21.

Talbot, Becoming Byzantine, P-25, Nicholas, B. Historical introduction to the study of Roman Law, Cambridge, 3thed, 1972, P. 1100

المجمل، إلا أنه يختلف عنه في احتوائه على فصول جديدة كانت على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية أو سلطة البطاركة والموظفين المدنيين، ورجال الدين الأمر الذي يعكس لنا صورة واضحة عن المجتمع البيزنطي في العصر المقدوني(٥١٩).

ومن أوجه الاختلاف أيضا أن ما استمده الأباناجوج من المجمل من مادة جري ترتيبها في صورة جديدة، وما ورد عن علاقة الكنيسة بالدولة وأنهما ليسا إلا هيئة واحدة مؤلفة عن عناصر عديدة، ويرأسها الإمبراطور والبطريرك باعتبارهما زعيمي العالم، ومن واجبهما أن يعملا معا في وفاق تام لصالح الإنسانية وينبغي على الزعيم العلماني أن يعمل على أن يهيئ الرغبة والسعادة المادية على حيث يتكفل الزعيم الديني السعادة الروحية(٥٢٠).

ورغم هجوم الإمبراطور باسل الأول القاسي على الإيكلوجا وتبرئة من الإمبراطور ليو الثالث(٥٢١)، إلا أن الأباناجوج أخذ عن الأيكلوجا(٥٢٢)، وبأية حال فقد شكلت كل من:

المجمل procheiron والمدخل Epanagoge مقدمة العمل التشريعي الضخم المسمى الباسيليكا Basilicaالذي بدأ في عهد باسل، واكتمل في عهد خليفته ليو السادس(٥٢٣).

وقد صدرت في السنوات الأولى من حكمه ما بين عام ٨٨٦م/٢٧٣هـ، ٨٩٢م، ٢٧٩هـ، واندرجت في ستين كتابا، تبين في ستة مجلد كانت عبارة عن مجموعة القوانين الكنسية والمدنية والقانون العام(٥٢٤).

واستندت إلى قوانين جستنيان بعد حذف القوانين التي فقدت أهميتها، أو صارت غير صالحة

---

(519) Krumbacher, The History of Byzantine Literature, P. 48
Vasiliev, History, Vo1, I, P. 341.

(٥٢٠) العريني، الدولة البيزنطية، ط ١٩٦٠، ص٢٩٨.

(٥٢١) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية، ص ١٤٣.

(522) Vasiliev, History of the Byzantine Empire Vol I, P. 341.
وقد أخذ المجمل عن الأيكلوجا لأن الأباطرة المقدونيين لم يرفضوا الكتيب كليا ولكن رفضوا فقط الأجزاء التي تعلي من شأن إنكار المعتقدات

See Basil, The Procheiros, P, 6.

(523) Krumbacher, the history of Byzantine Literature, P. 49
Vasiliev, History of the Byzantine Empire Vo1, I, P. 341

(524) Mausourakis, The History p. 406, Vasiliev, History, Vo1 I, PP.341-342
رستم، الروم، ج٢، ص١٦-ص١٧.

للتطبيق، أو غير ملائمة للمتغيرات المستجدة في الدولة البيزنطية[٥٢٥] واختلفت الباسيليكا عن قوانين جستنيان بأنها دونت باللغة اليونانية واتسمت بوحدة الموضوع، بينما قوانين جستنيان عالجت الموضوع الواحد في مواضع مختلفة[٥٢٦]، كما اشتملت الباسيليكا، على كثير من الحواشي والأمثلة والتفسيرات والتعليقات المأخوذة من مشرعي القرن السادس الميلادي، ومن رجال القانون في القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين[٥٢٧].وقد فاق استعمالها استعمال قوانين جستنيان[٥٢٨].

وعلى الرغم من أهميتها إلا أنه لا توجد نسخة كاملة[٥٢٩]، وجل ما وصل إلينا نسخ متعددة ناقصة تضم بمجموعها نحو ثلثي هذا المؤلف النفيس[٥٣٠].

وقد ظلت الباسيليكا هي المصدر الرئيسي للقانون في القرون التالية، وظلت تدرس ويعلق عليها مثلما حدث في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري في بلاط الإمبراطور قسطنطين السابع[٥٣١]، حيث ظهرت في عهده مجموعة من التفسيرات سميت "بالشروح القديمة" تميزا لها عن الشروح الحديثة التي ظهرت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[٥٣٢].

وإلى جانب الباسيليكا وجدت مجموعة أخرى اشتملت على مائة وثلاثة عشرة مرسوما وهي المعروفة:بالمتجددات Novellas للإمبراطور ليو السادس والتي جعلت كل السلطة في يد الإمبراطور،

---

(525) Vasilieve, History, VOL, I, p.342
Baynes, Byzantium, P.21

(526) Vasiliev, History, Vo1, I, P.342 العريني الدولة البيزنطية، ص ٣٤٧- ص ٣٤٨.

(527) Mousourakis, The historical Institutional P.406

(528) Kazhan, Change in Byzantine Culture, P.145

(٥٢٩) محمد مؤنس، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، عين للدراسات، ٢٠٠٧، ص ٢٦٠.
Vasiliev, History, Vo1, I, p.342.

الناصري، الروم، ص٣٠٥.

(530) Dennis, A rhetorician Practices Law, P. 187

رستم، الروم، ج٢، ص ١٧.

وقد نشرت الطبعة المتأخرة من قبل Heimbach في خمسة مجلدات،، أصبحت النسخة الكاملة من الباسيليكا وقوانين الملكية اليونانية الجديدة.

See Mousourakis Historical, P.225.

(531) Kazhdan, Change in Byzantine Culture P.145

(٥٣٢) العريني، الدولة البيزنطية، ط١٩٦٠، ص٣٠٢.

وعالجت موضوعات بلغت من شدة التنوع أنها صارت تتوالى الواحدة بعد الأخرى دون أن يربطها نظام معين(٥٣٣).

ولكن السؤال هنا لماذا أصدر ليو السادس Leo V1 هذه القوانين التي جمعها في كتاب ولم يعتمد على المجموعات القانونية الصادرة في عهد باسل الأول؟

من المحتمل أنه أراد أن يسد النقص في قوانين والده بتناوله موضوعات لم تتناولها المجموعة السابقة؟ فقد تناول في قانونه السادس القوانين المنظمة للأديرة وتحديد سن الالتحاق بالدير(٥٣٤).

وتناول موضوع الزواج في قانونه التاسع بعد المائة وما يتعلق به من صداق(٥٣٥)، وحث على ضرورة الإنجاب(٥٣٦)، ووضع قوانين منظمة لعملية البناء(٥٣٧).

وأصدر الإمبراطور كتاب الوالي الذي اشتمل على المادة التي تؤرخ للنصف الثاني من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري وتعرض بشكل واضح للسيطرة الإمبراطورية على الشئون الداخلية التي وصلت لقمتها تحت حكم ليو السادس الذي فرض سيطرة صارمة على المسئولين الذين عينهم الإمبراطور على النقابات التي شكلت الركن الأساسي من الحياة الاقتصادية في العاصمة وعلى الشئون المدنية(٥٣٨)، وأصدر العديد من القوانين التي أراد بها الإبقاء على كل مهنة تجارية أو حرفية في الإطار الدقيق لنشاطها، ومنع تصدير سلع فاخرة كالثياب والأقمشة الحريرية الأرجوانية porphyrogennetos إلى الخارج، وأمدنا بمادة وفيرة عن القوانين التي كانت تفرض على تجارة الحرير والذهب والجواهر عند التعامل مع التجار الأجانب(٥٣٩).

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه أنه لم يشر إلى أيام انعقاد السوق الأسبوعي في القسطنطينية ولم يشر سوى إلى أيام انعقاد الأسواق الموسمية وندرت الإشارة لأسعار السلع والبضائع(٥٤٠).

---

(٥٣٣) العريني، الدولة البيزنطية، ص٣٤٧، ص٣٤٨.

(534) Leo V1, Les Novelles de leon V1, nov, 6 PP.32ff

(535) LeoV1, Les Novelles nov. 109-110 PP262FF

(536) LeoV1, Les Novelles, no 26, PP.100ff

(537) Leo V1, Les Novelles, nov.113, PP.372ff

(538) Leo V1, The Homilies, P.11
Tougher, The Reign of Leov1, P.15

(539) Basil I, The procheiros, P. 54ff, Talbot, Becoming, Byzantine, P.25

(٥٤٠) العريني، كتاب والي المدينة، ص١٣٥ وما بعدها

كما أنه لم يشتمل على كل ما في القسطنطينية من نقابات والراجح أن هذا التحديد كان متعمدا، فلم يتناول القانون إلا أهم الحرف التي تؤدي خدمة كبيرة للدولة والمدينة، وترتب على ذلك أنه لم يرد بالكتاب من الحرف إلا تلك التي تلتزم بتأدية خدمات مهمة وتلك التي تمارس من الحرف والصناعات ما يتعلق باحتكارات الدولة، أو تلك التي تعتبر نواحي نشاطها من الأمور الجوهرية لتزويد المدينة بالمواد الغذائية(٥٤١).

ولكن هذا لا يقلل من أهمية الكتاب الذي ييسر لنا دراسة النظام الاقتصادي الذي خضعت له أوجه نشاط الفرد لصالح الدولة، إذ أنه يتألف من مجموعة المراسيم التي تتعلق بالتجارة، والتي يصبح اعتبارها ملحقا لما احتوته تشريعات ذلك العصر من أحكام ونصوص(٥٤٢).

وفي القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ترك لنا ميخائيل أتالياتس مؤلفه القانوني المعروف بالموجز أو الخلاصة The Practical Synopsis وجعل مقدمتها عبارة عن فحص تطور القانون الروماني من العصر الجمهوري إلى وقت إصدار الباسيليكا(٥٤٣).

كما صدرت مؤلفات لبعض القضاة تناولت القرارات الخاصة ببعض القضايا، ومن ذلك المجموعة المسماة بيرا Peria التي احتوت على مائتين وخمس وسبعين قرارا مؤلفا ومعدا من قبل القاضي أوستاثيوس Eustathios أثناء فترة عملة الطويلة، وعكس خبرته في فترة تولية القضاء ويعتبر هذا العمل مصدرا مهما يساعد في فهم التركيب الاجتماعي للإمبراطورية البيزنطية(٥٤٤).

ومن القضايا التي أشار إليها القاضي أوستاثيوس، ما قام به بعض الفلاحين من تقديم دعوى ضد رومانوس أسكلريو Romanos Sklerio ذكر فيها أنه اشترك مع الحاكم الذي أجبرهم على بيع أملاكهم لـ رومانوس، فطلب منهم القاضي ما يثبت صحة دعواهم وفي هذه الحالة سوف يلغي البيع وترد لهم أملاكهم(٥٤٥).

ومن القضايا الواردة في هذه المجموعة ما قام به شخص من سرقة جاره الأسقف بعد وفاته، حيث

---

(٥٤١) العربني، كتاب والي المدينة، ص١٤٥

(٥٤٢) العربني، كتاب والي المدينة، ص١٣٧

(543) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.149.
Krumbacher, The History of Byzantine Literature, P.49.

(544) Kazhdan, Change in Byzantine Culture P.146.

(545) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.147.

دخل منزله ومعه اثنان من العبيد وسرق حقيبة جاره المملوء بالذهب، ثم أرجعها فارغة وعندما وجه إليه القاضي الاتهام أنكر الجار، ولكن العبدان شهدا عليه، فطلب منهم القاضي حلف اليمين فما كان من المتهم إلا أن اعترض على حلفهما اليمين طبقا لأحكام القانون الذي لا يسمح للعبيد بالقسم، ولكن القاضي قرر أن يقوما بالحلف وبالفعل نفذ العبدان القرار وتم اتهام الجار وحكم عليه وأودع السجن(٥٤٦).

وخلاصة القول: أن أباطرة وعلماء العصر المقدوني، قد اهتموا بالعلوم التشريعية، ودرسوا قديمها فنقحوه وأضافوا إليه، وأصدوا مجموعات وكتيبات وملخصات قانونية وطبقوها في المحاكم، واحتكموا إليها في القضايا والمنازعات وبلغ من الاهتمام بالدراسات القانونية أن قاموا بإنشاء كلية للحقوق في جامعة القسطنطينية لتدريس القانون وكانت هذه الكلية تؤهل الخريجون لممارسة مهنة المحاماة، وخاصة الذين تعلموا القوانين المدنية، وصار يطلب من المحامين وكتاب العدل (الذين عملوا كأمناء سر وشهودا على الصكوك والوثائق) قبل أن يمارسوا مهنتهم أن يقدموا شهادة من رئيس كلية القانون بحصولهم على شهادات تفيد دراستهم للقانون في هذه الكلية، ذلك أن خريجي تلك الكلية صاروا يحصلون على شهادات تشهد على قدرتهم البلاغية حالة ممارستهم القضاء، أما إذا التحقوا بوظائف كتاب العدل فيجب تقديم ما يفيد إتقانهم الخط أيضا(٥٤٧).

حيث نص كتاب الوالي على ضرورة معرفة كاتب العدل بالقوانين، ومهارة بالخط والكتابة ألا يكون ثرثارا أو متغطرسا، ولا يتصف بسوء الخلق وممارسة السلوكيات المشينة وأن يتمتع بشخصية قوية وصوت عال، ويجيد الحديث بطلاقة، ويعرف عن ظهر قلب كتابا من الستين كتابا التي تحويها الباسيليكا(٥٤٨).

وإلى جانب المجموعات القانونية السابقة، صدرت مجموعات قانونية كنسية، وضعتها المجامع المقدسة، وقوانين الآباء المقدسين، عبرت عن وجهة نظر الكنيسة في مختلف الموضوعات كالزواج، والطلاق والعقوبات والشئون الدينية، كالرهبنة وغيرها(٥٤٩).

وقد احتوت متجددات الإمبراطور ليو السادس على ما يقرب من خمسة عشر فصلا لمعالجة الأمور

---

(546) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, PP.147-148.

(547) Basil I, The Procheiros, P.3
Baynes, Byzantium p.207

آمال حامد، ميخائيل بسللوس، ص٤٦-ص٤٧.

(٥٤٨) كتاب الوالي، ص ٨٤.

(٥٤٩) محمد زيد، طبقة العامة، ص ٣١.

الكنسية، والتنظيم الداخلي للكنيسة، والتهذيب الديني، على النحو الذي أراده البطريرك[٥٥٠].

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري ازداد الاهتمام بدراسة القانون الكنسي مع نظيره المدني[٥٥١].

وبذلك يتضح الأهمية التي حظيت بها العلوم التشريعية في العصر المقدوني.

ومن الجدير بالذكر أن القانون البيزنطي على الرغم من صرامته، إلا أنه تم تفسيره بقدر كبير من المرونة[٥٥٢].

ثانياً: العلوم العسكرية:

عنى أباطرة العصر المقدوني بشكل كبير بفنون القتال، وتكوين الجيوش البيزنطية التي اعتمد عليها لتحقيق سياسة التوسع الخارجي، وقد اهتمت بيزنطة طوال العصور الوسطى بدراسة الفنون الإستراتيجية وأدوات القتال، وتنظيم الجيوش بعناية ودقة، وقدمت لنا مؤلفات لها أهميتها دونها جماعة من المهتمين بالشئون العسكرية وأقبل على دراستها والإطلاع عليها القادة والأباطرة العسكريين و تساعدنا هذه المؤلفات في تتبع المراحل الرئيسية في تطور تاريخ الفنون العسكرية البيزنطية.

---

(550) See Leo VI, Les Novelles, nov 2-17, PP16-68

العربني، الدولة البيزطية، ط١٩٦٠، ص٣٠٣.

هذا يدل على أن الإمبراطور ليس رئيسا للكنيسة بل يعتبر حاميا لها، إذ أن للكنيسة رئيسها وهو بطريرك القسطنيطنية الذي أخذت سلطته ومكانته تزداد يوما بعد يوم.

العربني، الدولة البيزطية، ط١٩٦٠، ص٣٠٣.

(551) Kazhdan, Change In Byzantine Culture p.148

ومنذ عام ١٠٩٠م قام المحامي سيدور بستزز Theoder Bestes بتأليف نسخة أو رواية جديدة للقانون الكنسي الجديد مكونة من أربعة عشر فصلا، وقد اشتملت هذه النسخة على القانون الجاستيني، أو قانون جستنيان والمراسيم الإغريقية بكاملها وأيضا أشياء عن القانون اللاتيني، ولكن في شكل أو تكوين مختصر، وقد قام المحامين في القرن الثاني عشر الميلادي، بالتعليق على النصوص الأساسية للقانون الكنسي وأعيدتسميتها فقد سموها أيضا بقواعد الرواد والرسل وأيضا القوانين الخاصة بمجالس الكنيسة وأيضا القانون الكنسي الجديد وعلاوة على ذلك فإن قوانين الكنيسة المهجورة أو المهملة قد تم مهاجمتها وتفنيدها من خلال الإشارة للتشريع المدني المعاصر والإشارة للكتابات التقليدية بواسطة العديد من الرجال، وقد وجد أيضا هناك انتقال أو تحرك بواسطة علماء القانون الكنسي لاستخدام تفسيرات الانتظامات الكنسية لنهاياتهم السياسية، ولاستخدام نفس المادة فقد كان هناك على سبيل المثال، "زونرز" Zonaras الذي تصرف أو عمل مفكر لمجلس الشيوخ، و طلب بوضع حدود للقوة الاستبدادية أو المطلقة بينما عبر "بلسامون Balsamon عن المكانة السياسية للإمبراطور عن طريق دعم الامتيازات الإمبراطورية.

Kazhdan, Change in Byzantine Culture, PP.147-148.

(552) Dennis. A rhetorician Practices Law P.188

فيما يتعلق بالعصر المقدوني بالذات فقد ترك لنا ليو السادس اطروحتيين عن الشئون العسكرية أولهما The Problemata التي ألفها في شبابه، وقدمها في شكل أسئلة وإجابات الأخرى:الـ Taktica التي يرجع تاريخها إلى حوالي ٩٠٠م/ ٢٨٨هـ واستند فيها على المادة اليونانية العسكرية بالإضافة إلى Strategicon للإمبراطور موريس ٥٨٢-٦٠٢م(٥٥٣).

والمتصفح لتكتيكا ليو السادس يجد أن الحرب لم تكن مجرد حشد قوات وصليل سيوف، وصهيل خيول بل لها قواعدها العسكرية المعقدة وأسسها الضاربة جذورها في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية الباكرة، وقد شكلت كل هذه وتلك ما نطلق عليه في عصرنا الحالي مسمى الإستراتيجية(٥٥٤)، وحاول الإمبراطور في هذا الكتاب تكييف التجارب العسكرية السابقة مع الوضع الحالي للحرب خصوصا على الجبهة الشرقية(٥٥٥).

وقدم ليو في التكتيكا مجموعة من القواعد العسكرية التي أوصى بها الإمبراطور ليو السادس قائد الجيش وجيشه على إتباعها، وأولى هذه القواعد هي وجوب اتخاذ المشورة، ولذلك يأمر ليو السادس بتبادل الرأي مع المسئولين، ثم إصدار القرار المناسب، وتأتي بعد ذلك الخطوة الثانية: وهي حشد الجيوش لأجل

---

(553) See Leo VI, The Taktica of Leo VI, Leo VI, The Homilites, P.10.

لا يفهم من هذا السياق أن المؤلف موريس المقصود به الإمبراطور موريس، بل إن المؤلف شخص يدعي روفوس والحقيقة انه جامع وليس بمؤلف تناول فية ماورد في المؤلفات العسكرية.أما دور موريس فقد اقتصر على إعطاء الأوامر بتدريب وتقسيم الجيش وتزويده، وبناء الهياكل والقلاع الدفاعية والكثير من الأمور الأخرى.

See Krumbacher, The History of Byzantine Literature, P.58

ويمكن أن تكون نسبة الكتاب إليه، لأنه من المحتمل أن يكون قد أعطى أوامر بالاستناد على خبرات السابقين لتقوية الجيش، لذلك تم تجميع الكتاب المذكور.

موريس Maurice ٥٨٢-٦٠٢م، تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية في الثالثة والأربعين من عمره، وكان ذكيا قديرا مثقف عمل لبعض الوقت في الإرادة القضائية ثم التحق بخدمة الجيش حتى أصبح قائد الحرس الإمبراطوري، واسترعى انتباه الإمبراطور طبريوس، فزوجه من ابنته عام ٥٨٢م، وبعد وفاته أصبح إمبراطور ويعتبر من خلفاء جستنيان.

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية، ص٦٣

للمزيد عن الإمبراطور موريس انظر وفاء محمد، الإمبراطور موريس، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨١م.

(٥٥٤) طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين، دراسة في الاستراتيجية في ضوء تكتيكا ليو الحكيم منشور في كتاب دراسة في تاريخ العصور الوسطى، مجموعة بحوث مهداة إلى د/ قاسم عبده قاسم، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٤٩-ص١٨٤، ص١٤٩.

(555) Leo v1, The Homilies, PP10-11.

الحملة ثم الزحف نحو الجبهة التي سيقاتل عليها وكانت هناك مجموعة من التعليقات التي ينبغي على القائد إتباعها إذا ما صحب الجيش في زحفه، أولها أن يقوم بنفسه بتوجيه التعليمات إلى جنوده وألا يلجئوا إلى السلب والنهب أو الفساد في الأرض وألا يجعل قواته في مكان واحد وبعد وصول الجيش إلى الموضع الذي يعسكر فيه، عليه إقامة المعسكرات الخاصة بة (٥٥٦).

وتضمنت التكتيكا بعض التعليمات الخاصة بكيفية تأمين المعسكر المحاصر بخندق، أو سور، أو حراس وحراسة البوابات، وتأمين خطوط الإمدادات وتقسيم الجنود إلى مناوبات كي يتمكن البعض من الحصول على الراحة بينما يظل الآخرون يضايقون الأعداء وكذلك إحاطة السور بقوات تحمل سلالم واستخدام آلة الكبش وأبراجا متحركة في مواقع مختارة مع التركيز على المداخل السهلة، وترك الصعبة بدون حراسة لعلمهم بصعوبة الدخول منها، واستخدام الأسهم النارية ومعدات الاشتعال الأخرى التي تطلقها المدفعية لإشعال النار وسط الأعداء، وضرورة حفر أنفاق تحت الأسوار وأثناء التفاوض تقديم شروط سهلة لتشجيع المدينة على الاستسلام(٥٥٧).

ومن الأشياء الطريفة التي يجدها القارئ بين ثنايا صفحات تكتيكا ليو تلك الفقرة التي تشير إلى الإجراءات التي تتبع مع جنود العدو الذين يقعون في أيدي قوات الجيش البيزنطي، فإذا استولي الحرس على أحد أفراد العدو، أو انشق أو جاء نحو معسكر الجيش البيزنطي فإذا كان شديد البنية ومسلحا لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يراه أفراد الجيش بل يذهب بة بعيدا عنهم أما إذا كان أولئك المنشقون عن جيشهم من الضعفاء فعلى القائد أن يقوم بعرضهم على قوات الجيش جميعا، أما الذين يقعون في الأسر فيطاف بهم عراة مع الأمر بأن يتوسلوا إلى جميع أفراد الجيش جميعا بألا يقتلوهم وذلك حتى يبدو لقوات الجيش البيزنطي أن كل قوات العدو ضعفاء أذلاء(٥٥٨).

وتعكس هذه الفقرة ثقة المؤلف في قوة الجيش البيزنطي(٥٥٩).

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن التكتيكا قدمت لنا صورة إجمالية عن جميع الأعداء الذين كان على

---

(٥٥٦) طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين، ص١٤٩-ص١٥٢.

(557) Leo the Deacon History, PP.7-8

(٥٥٨) طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين، ص ١٥٥.

(٥٥٩) جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥١، أومان، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى بدر القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٣، ص١٧١.

الإمبراطورية مقاومتهم ووسائل التغلب عليهم، وعلى المواقع المحصنة عن طريق حصار المدينة الذي ينتهي بها إلى الاستسلام تجنبا للموت جوعا والهجمات المباغتة أو الهجوم المباشر على أسوار المدينة الذي ربما يتضمن استخدام السلالم عن طريق الهجمات طويلة الأمد، بالإضافة إلى الحفر تحت السور أو هدمه بالكامل وغير ذلك(٥٦٠).

وتضمن كتاب التكتيكا فصلا عن المعارك البحرية De Navale Praelio اشتمل على معلومات مفصلة عن كيفية إدارة بيزنطة للمعركة البحرية ضد المسلمين خلال القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري ويحتوي هذا الفصل التاسع عشر على خمسة وسبعين بندا تتخذ جمعيا شكل النصيحة أو الأمر العسكري، وتتعلق بمراحل الحرب البحرية المختلفة، بداية باستعدادات وتجهيزات ما قبل التحرك ومناوشات ما قبل المعركة، واستراتيجية الاشتباك وتوجيهات ما بعد المعركة.

وهذه النصائح تتخذ صيغة الأوامر الواجب تنفيذها، وهو ما يتضح في استخدام ليو السادس مرارا لأفعال الأمر وصيغ الوجوب والحتمية والضرورية ويوجهها إلى "الاستراتيجيوس" أو قائد البحرية Strategos tes naurikes dunameos واتسم أسلوب ليو بالإيجاز والاختصار في حديثه عن المعارك البحرية وبرر ذلك بضيق المجال ورغبة في عدم الاسهاب ففي البندين الثالث والستين والرابع والستين يشير إلى ثمة توجيهات حربية عديدة ابتكرها القدماء للمعارك البحرية ولكن بإيجاز وذكر ذلك قائلا:"**تضرب عنها هنا صفحا منعا للإسهاب**".

وفي أحيان أخرى كان إيجاز ليو راجعا إلى خطورة ما قد يذكر من معلومات بشأن وسيلة إغراق سفن الأعداء عن طريق ملئها بالماء مبررا ذلك بقوله: "كي لا يطلع عليها العدو فيستخدمه ضدنا"، وأشار إلى الصفات التي ينبغي توافرها فيمن يضطلع بمهمة قيادة القوة البحرية.

وأشار في هذا الفصل إلى تشكيلات الأسطول البيزنطي وتناول سلاح النار الإغريقية والوظائف العسكرية البحرية وغيرها من المعلومات المهمة عن المعركة البحرية(٥٦١).

---

(560) Leo the Deacon, The History, PP.7-8

(٥٦١) انظر فايز صالح سجيني، استراتيجية المعركة البحرية البيزنطية، كم عكستها تكتيكا ليو السادس الحكيم، بحث منشور، مجلة الوقائع المصرية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يوليو ٢٠١١م، ص٢١٩–ص٢٣٥، ص ٢١٩ وما بعدها.

إن هدف المؤلف من هذا الكتاب تقديم صورة حية عن أعداء الإمبراطورية ونقاط ضعفهم ومدى قوتهم ليجعل قواته على دراية بهم حتى يتمكنوا من مواجهتهم بنجاح وبصفة خاصة العرب(٥٦٢).

إذ يذكر الإمبراطور أن الخطر العربي الإسلامي ممثلا في الأغارات السنوية التي شنوها على أسيا الصغرى هي التي دفعته لكتابة هذا المؤلف(٥٦٣).

وتعتبر التكتيكا بمثابة إحصاء عام عن مؤسسات الجيش البيزنطي، إن لم يكن من نهاية القرن السادس الميلادي، فعلى أدنى تقدير من القرن السابع الميلادي، الأول الهجري، فصاعدا(٥٦٤).

وكان هذا المؤلف بمثابة مؤسسة عسكرية كلاسيكية، وليست عملا اقتضته ظروف وأحوال عهده، وأنه لم يؤت ثماره إلا فيها بعد، عندما اختل ميزان القوى في الجبهة الشرقية لصالح الإمبراطورية البيزنطية وأن المؤلف لم يدعم أحاديثه بالأمثلة العملية فجاء مصنفة نظريا تماماً.

وعلى الرغم من العيوب السابقة إلا أنه بحث عظيم يقدم تقريرا ممتازا عن التنظيم والأستراتيجية وتكتيكات الجيوش مع بعض الملاحظات المفيدة المتعلقة بسلوك وعادات أعدائها(٥٦٥).

ومن الواضح أن التأليف في الشئون العسكرية بدأ منذ القرن العاشر الميلادي إلى الرابع الهجري في عهد الإمبراطور ليو السادس. ولعل ذلك يعود إلى عدة عوامل أسهمت في ذلك هي:

أولاً: طبيعة المؤرخين البيزنطيين الذين أرخوا تاريخ دولتهم في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين حيث كان معظمهم من رجال الدين الذين لم يستطيعوا التخلص من نزعاتهم الشخصية أثناء تدوينهم التاريخي لهذه الفترة(٥٦٦).

ثانياً: لم يلجأ المؤرخون البيزنطيون إلى تسجيل تفاصيل المعارك التي يحرزون فيها النصر على أعدائهم.

ونضيف إلى العوامل السابقة انشغال بيزنطة بمشكلاتها الداخلية "خاصة الحركة "اللاأيقونية" ومن ثم اهتمت أكثر بالقضايا الدينية عن التدوين العسكري.

---

(562) See Kolias. The Taktika of Leo V1, PP.129-130

(٥٦٣) طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، ص١.

(٥٦٤) أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧١، طارق منصور، الجيش، ص٢.

(٥٦٥) طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين، ص ١٥٥.

(٥٦٦) طارق منصور، فن القتال عند البيزنطيين، ص ١٧.

ويرى بعض المؤرخين أن الكتاب خلا من العبقرية الأصلية خلوا تاما، ولم يزد على النقل الضمني للقواعد والحقائق العامة التي أكدتها الانتصارات، وخلا الكتاب من البراعة في الأسلوب أو المنهج.

ويتساءل المرء بحق عن نفع هذه المبادئ الحربية أو على الأقل عن أهميتها فإعداد الجندي يعتمد على التدريب أكثر منه على الدراسة(٥٦٧).

والحقيقة أن هذه المبادئ ضرورية وأساسية للتعامل مع الحروب.

حيث يقوم الجنود والقادة بالإطلاع عليها ودراستها نظريا، ثم التدريب عليها، وتنفيذها عمليا، الأمر الذي يدفعنا إلى الإقرار بأن هذا العمل يعتبر من أهم المؤلفات العسكرية البيزنطية التي تتحدث عن المؤسسة العسكرية البيزنطية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين(٥٦٨).

وكانت هذه المعلومات التي تضمنها العمل موضع اهتمام من قبل القادة العسكريين، حيث اعتمد عليها قسنطنيين السابع الذي اهتم بالعلوم العسكرية، وأرسل رسائل لتحفيز الجنود على المعارك، وقد تضمنت النداءات والتحفيزات الروحية والدنيوية التي أراد بها الإمبراطور إثارة الحماسة العسكرية لجنوده وتضمنت مقتطفات عديدة من المؤرخين السابقين.

بداية بـ هيردوت Heradout فانتهاء بثيولاكت سيموكاتا Theophylact simocatta(٥٦٩).

<u>ويمكن تقسيم الرسالة الأولى إلى خمسة أقسام رئيسية وهي:</u>

المقدمة: التي أثنت على انتصارات الجيش الأخيرة التي نالت شهرة كبيرة في كافة أنحاء الإمبراطورية.

الثانية تذكير الجنود بانتصاراتهم وإيمانهم المسيحي ليحاربوا بحماس بالغ ضد الأعداء.

الثالثة الافتخار بالقضاء على سيف الدولة ومؤامراته التي تخفي وراءها الخوف والضعف في أعقاب هزيمته.

---

(٥٦٧) إدوار جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج٣، ص٧٠-٧١.

(568) Leo V1, The Homilies, P. 10

(569) See Constantini VII,
Three treatises on imperial military Expeditions
Edwin, A history of Classical Scholarship p. 404
Nesbitt, Byzantine, PP. 112-122

عن ثيولاكت انظر:

Whitby, The history of Theophylact

الرابعة التعبير عن رغبة الإمبراطور واشتياقه في أن يكون متواجد بنفسه مع جنوده.

القسم الخامس: يسند فيه إلى المسئولين الإمبراطوريين مهمة تقديم تقارير دقيقة عن أعمال الجيش وعن الجنود والضباط المتميزين

أما الرسالة الثانية: فقد مدح فيها الإمبراطور القائد الذي أحرز النصر في هجومه على مقاطعات طرسوس(٥٧٠).

والقارئ لهذه الرسالة يلمس حرص الإمبراطور على إثارة الحماسة في نفوس الجنود، لتحفيزهم على الاستبسال في القتال، وتعد هذه الرسائل نموذج للخطب العسكرية الإمبراطورية.

تعكس لنا هذه الرسائل كيفية مزج الدين بالسياسة لتحريك الروح المعنوية للجنود خاصة في الحروب البيزنطية ضد الحمدانيين وذلك من خلال نداءات الإمبراطور لجنوده، وتحفيزهم على مواصلة الكفاح من أجل السيد المسيح، ولم يذكر الإمبراطور أن هذه الحروب جهاد في سبيل الله أو بناء على رغبة الكنيسة وأن الموت يحقق مكاسب روحية فورية للجندي ولكنه ذكر أن هذه الحروب دفاعا عن العالم المسيحي، وليس لنشر العقيدة المسيحية(٥٧١).

إلى جانب ما ذكرناه ظهرت كتب فنون الحرب مثل:

كتاب الجوديسية Geodesic لمالك الحزين Heron of Byzantion وتناول فيهما كيفية إنشاء السلالم والأبراج المتحركة، ومعدات الحفر، وأساليب هدم الأسوار(٥٧٢).

وهناك مصنفان آخران يرجعان إلى الإمبراطور نقفور فوقاس، يعرف أحدهم باسم مناوشات الحرب de Velitation Belli(٥٧٣)، والآخر كتاب الشئون العسكرية Liber de Re militrai وقد اهتم هذا الكتاب بدراسة طرق غزو البلاد الأجنبية وطرق حصار المدن والقلاع الخاصة بالعدو باختلاف أنواعها

وقد أضيف هذا الكتاب إلى كتاب التكتيكات Taktika الخاصة بالإمبراطور ليو السادس، وكانت

---

(570) See Nesbitt. Byzantine, PP.112-122
(571) Nesbitt, Byzantine, PP. 134-135
(572) leo the deacon, History, P. 8
(573) see Nicephor phocas, De Velitat Belli in leonis Dicaconi Historia in CSHB, PP. 307-323
عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي."الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩-٩٧٦م"، الإسكندرية، دار الشروق، ط٢، ١٩٦٧، ص١٢.

مخاوف مؤلفه المجهول مركزة على كيفية إرسال حلمة عسكرية عبر الحدود الشمالية ضد البلغار(٥٧٤).

انصب اهتمام البيزنطيين على تقديم الإرشادات التي تمكن الجنود من تحقيق الانتصارات، فأوصى نقفور أورانوس Nicephoros Ouranos في التكتيكا بأن يتم أولا اجتياح الريف، وقطع سبل الإمدادات للعمل على إنقاص مؤن العدو، ثم بعد ذلك يتم حفر خندق لتأمين معسكر القوات المحاصرة، (التي تقوم بالحصار) وخلف الخندق توضع آلات ومعدات مضادة للأفراد مثل: الكلتروب Caltrops، ثم يتم تقديم شروط ميسرة للاستسلام مصحوبة بتهديدات بالأذى، وفي حالة الرفض يتم اقتحام الحصول مع مراعاة تقسيم القوات إلى ثلاث فرق، وأن تكون هناك فترة للراحة حتى يتمكنوا من هدم السور، ويقوموا بإشعال النيران في الأبراج الخشبية مما يؤدي لانهيار الأسوار، ويصف أورانوس الطريقة الأخيرة بأنها الأكثر فاعلية(٥٧٥).

إن التأكيدات الواردة في الكتيبات الإرشادية بضرورة دك الأسوار، تدل على أن المدفعية البيزنطية في هذه الفترة لم تكن على درجة من القوة تمكنها من هدم أسوار الحصون بطريقة مباشرة، وأنها كانت تستخدم إطلاق النار على قوات العدو الموجودة على السور مصحوبة برماة السهام، ومن يقذفون بالقلاع وذلك لتشكيل سيل متدفق من القذائف يمكن أن يرغم المدافعين على الهروب والابتعاد عن الأسوار المنيعة(٥٧٦).

وقد بلغ الاهتمام بدراسة العلوم العسكرية أن قاموا بدراسة كل ما يرتبط بها، حيث درست الثيمات أو الثغور (الأقاليم الموجودة على الحدود)، لأنها تشكل جبهات مقاومة ضد الأعداء، وكذلك الثيمات التي كانت خارج حدود الإمبراطورية، وتحت سيطرتها مثل إقليم كافلونياCephalonie، السالف الذكر.

كما اهتم الأباطرة بدراسة الثيمات البيزنطية في جنوب إيطاليا، وهما: ثيمي لونجوبارديا Longobardie وأبوليا A polia وكالابريا Clabria، بالإضافة إلى ثيم صقلية الذي وقع في أيدي الأغالبة عام ٨٢٧م/ ٢١٢هـ(٥٧٧).

---

(574) Rosser, Historical dictionary, p.116.
(575) Leo the Deacon, History, P.8.

الكتروب: كرة حديدية لها رؤوس شائكة.

See Leo the Deacon, History, P.8.

(٥٧٦) رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية، ص٣٤.

(577) Okionomides, Constantine V11, Porphyrogenete Les Themes de Cephalonie et de longobardie, P.119.

محمد زيد، العلاقات البيزطية الألمانية، ص٢.

وترتب على دراسة الثيمات معرفة الأباطرة بنقاط القوة، والضعف بها، وتحويل بعضها إلى أقاليم مستقلة وفقا لأهميتها، أو نظرا للاحتياجات وقتها[٥٧٨].

ثالثاً: العلوم العلمية:

أقبل البيزنطيون في العصر المقدوني على دراسة العلوم العلمية من رياضيات وهندسة وفلك وكيمياء وطب وإن لم يكن بقدر كبير مثلما حدث في العلوم السابقة ولكنهم أطلعوا عليها ودرسوها.

:١٤٩

ارتبطت الرياضيات بالدراسات الفلسفية، واعتبر بعض الباحثين أن الرياضيات نافعة جدا، لأنها تربط بين الأشياء المادية والأفكار النظرية، وذكر بسللوس أنه تطلع إلى معرفة المبادئ الأساسية للفلسفة من خلال الرياضيات[٥٧٩].

ينسب الجهد الأول في إحياء الدراسات الرياضية إلى ليوالي الرياضيLeo the Mathematician الذي ألقى محاضرات عامة في عهد الإمبراطور ثيوفيلس Theophiols في كنيسة الأربعين شهيدا، وأصبح فيما بعد رئيسا للجامعة التي أسست من قبل القيصر بارداس Bardas في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III.

ويري بعض المؤرخين أنه مازال على قيد الحياة في عهد الإمبراطور باسل الأول واعتمد أصحاب هذا الرأي على ملحوظة وردت في مخطوطه بودليان لاقليدس Euclid تعود لعام ٨٨٨م/٢٧٥هـ تذكر أن إريثاس A rethas سمع محاضرة ليو على إقليدس[٥٨٠].

الأغالبة: استمرت دولة الأغالبة ما يزيد على قرن من الزمان من ١٨٤هـ، حتى ٢٩٦هـ، ظهرت على مسرح الأحداث عندما أسندت ولاية أفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب وتمكن فيما بعد من غزو صقلية ومالطة والسواحل الإيطالية، وأقام الخطبة للخليفة العباسي.

للمزيد انظر محمد زينهم، تاريخ مملكة الأغالبة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٠، وما بعدها.

(578) Oikonomides, Constantine V11, P.123.

عن الثيمات انظر:

Constantinii VII, De Thematibus Imperio

طارق منصور، قسطنطين السابع بورفيروجنيتيوس، وكتابه عن الأقاليم البيزنطية، منشور ضمن كتاب طارق منصور قطوف الفكر البيزنطي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج١، ص١٠٦-ص١٤٢.

(579) Psellus, Chronographia, 173.

عفاف صبرة، الإمبراطورتان، ص٢١٨.

(580) Krumbacher, The history of Byzantine Literature P.53.

وأختلف المؤرخون حول إسهامات البيزنطيين في هذا العلم فيرى البعض أن البيزنطيين لم يزيدوا على ما قدمه الإغريق القدامى(٥٨١).

ويرى البعض الآخر أن العديد من الدراسات الجديدة قد أضيفت على علم الرياضيات في العصر المقدوني(٥٨٢).

والحقيقة أنه لم يكن هناك إنتاج في مجالات الحساب والهندسة وعلم الفلك، واقتصر الاهتمام على دراسة أعمال القدماء(٥٨٣)، ولم تظهر دراسات متخصصة إلا في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، فقد وجد هناك نصا منسوبا لـ بسللوس يتضمن أربعة أعمال في الرياضيات وفروع المعرفة الخاصة بها وهم علم الحساب، والجغرافيا والمنطق، والموسيقى، وقد أوضحت أبحاث ودراسات بسللوس عن الرموز الخاصة بعلم الجبر واقترح بسللوس ثلاثة تطبيقات للرياضيات أولها: الجانب العلمي، وثانيها: الجانب النظري.

والجانب الثالث: هو الجانب الخاص بالنظريات كوسيلة للتأمل الإلهي(٥٨٤).

ومن الواضح أنه لم تكن هناك دراسات كثيرة في علم الرياضيات بل اقتصروا على دراستهم النظريات الرياضية التي درسوها لطلابهم.

ليو الرياضي leo the Mathematicion تلميذ ليو الفيلسوف ولد عام ٧٩٠م وتوفى بالقسطنطينية بعد عام ٨٦٩م ابن عم البطريرك يوحنا السابع كانت له اليد الطولى في أحياء الدراسات الأدبية في بيزطة في القرن التاسع الميلادي مما أدى إلى ذيوع شهرته بين الناس جميعا حتى وصلت للخليفة العباسي المأمون

للمزيد انظر:

نيكول، المعجم، ص٢٧٥. Rosser, Historical dictionary, p, 245.

إقليدس: رياضي يوناني قديم أفضل أ عماله وأشهرها، كتاب العناصر elements في الهندسة.

See Kazhdan, ODB, Vol III, PP.739-40.

Rosser, Historical dictionary, PP.141-142

(٥٨١) عفاف صبرة، الأمبراطورتان، ص٢١٨.

(582) Kazhdan, change in Byzantine culture, pp.148-149.

(583) Krumbacher, the History of Byzantine literature, pp. 52-53.

(584) Kazhdan, change in Byzantine culture p. 149.

ويتضح ذلك من خلال ما ذكر زائري القسطنطينية والذين كان أبرزهم ليوناردو البيزي الذي سافر للعاصمة حوالي عام ١٢٠٠م، وذكر أنه قابل العديد من علماء الرياضة الذين علموه وأرشدوه في حل بعض المشاكل الخاصة بعلم الجبر.

Kazhdan, change in Byzantine culture p. 149.

الهندسة: ***GEOMETRY***

وإذا انتقلنا لعلم الهندسة وجدنا أن البيزنطيين يروون الحكايات الطوال على أنهم يفهمون الاستدلال الهندسي أحسن من العرب مع أن العرب أيضا كانوا يدرسون إقليدس فإن تلميذ ليو الفيلسوف، والذي أخذ أسير في بغداد أذهل علماء بلاط الخليفة المأمون بتمكنه من تلك المادة، ومهارته فيها، على أنه هندسة إقليدس ظلت لديهم كما ظلت لدى العالم كله حتى العصور الحديثة أقصى حد للمعارف الهندسية(٥٨٥).

وردت إشارات هندسية في بعض الكتيبات العسكرية عن بعض الطرق الهندسية لتقدير الأحجام المختلفة من الآلات والمواد الحربية، بينما تظل القوات بعيدة عن مرمى نيران الأعداء(٥٨٦).

وهذا ما ظهر في كتاب الجوديسية Geodesic لمالك الحزين ومالك الأصغر Heron The Younger الذي كان معروفا كأفضل مساح يقيس الأرض والمباني(٥٨٧).

وفيما يتعلق بالدراسات الفلكية التي كانت تنتمي للمجموعة الرباعية من الفنون السبعة الحرة والتي تتكون من الحساب- الهندسة- الفلك- الموسيقى، فقد كان للبيزنطيين معرفة طيبة بها.

علم الفلك:

لم يكن للبيزنطيين في العصر المقدوني إسهامات في علم الفلك؛ وذلك لأن علم التنجيم كان علما مكروها من الكنيسة(٥٨٨). وللتداخل الذي كان بين علمي الفلك والتنجيم لم يقبل العلماء على دراسة الإجرام السماوية، وإن كان هذا لا ينفي وجود معرفة بعلم الفلك في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري من خلال الدراسات القديمة التي سهلت لهم تفسير بعض الظواهر الجوية والتي منها ظاهرة الكسوف التي حدثت في عهد الإمبراطور نقفورفوقاس، عندما كان مشغولا في الشام في فصل الشتاء حيث تكون الشمس بعيدة عن خط الاستواء فحدث كسوف الشمس بشكل لم يحدث من قبل ويشرح لنا ليو الشماس طبيعة الكسوف كالتالي:

"أنه في يوم ٢٢ ديسمبر في الساعة الرابعة الطقس واضح الظلام يغطي الأرض وكل النجوم اللامعة كانت مرئية فالشخص يمكن أن يرى الشمس مظلمة وغير مضيئة ووميضا ضعيفا مثل عصابة أو

---

(٥٨٥) رنسيمان، الحضارة البيزطية، ص٢٨٥.

(586) Leo the deacon, History, P.8

(587) Krumbacher, The History of By zantine Literature, PP.53-54.

(588) Maguire, Byzantine Court culture P.146.

قماشه شفافة تنير حافة من قرص الشمس وبشكل تدريجي تمر الشمس خلال القمر، ويبعث أشعته الخاصة التي ملأت الأرض ثانية بالضوء، فزع الناس فيما رأوه من مشهد غير متكرر، وغير معتاد، واستعطفوا الرب بالصلوات والتضرعات بما يلائم"[٥٨٩].

ما ذكره ليو الشماس عن كسوف الشمس هو وصف مشهد رآه ولكنه لم يذكر ما السبب في كسوف الشمس؟ وكيف يحدث؟ ولم يذكر أي تفسير فلكي لهذه الظاهرة مما يعكس عدم معرفة كافية بهذا العلم ونلاحظ في النص السابق اتفاق المسيحيين البيزنطيين مع المسلمين في علاج ومواجهة الظاهرة باللجوء والتضرع إلى الله والصلاة من أجل أن ينهي الظاهرة وإن لم يكن لهذه الصلاة مسمى عند المسيحيين بخلاف المسلمين الذين تسمى عندهم صلاة الكسوف[٥٩٠].

وقد قام العلماء في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري بعمل دراسة مهمة لكل من العرف الفلكي القديم وعلم الفلك في العصور الوسطى، كما تم نسخ تعليق الفلكي الإغريقي ثيون Theon عام١٠٠٧م-١٠٠٨م\٣٩٨-٣٩٩هـ، وأيضا الملخص المختصر للدراسة الفلكية للعالم هيفستين Hephaistion في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري والذي تمت كتابته في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري.

ولم يكن البيزنطيون مقيدين باستخدام الدراسات الفلكية الإغريقية واليونانية، بل استخدموا المصادر العربية المناسبة لهم.

وفي عام ١٠٣٢م/ ٤٢٤ هـ قام الشارح المجهول لإحدى النسخ اليونانية، بإعداد دراسة أو مقارنة نقدية بين علماء الفلك العرب، وعلماء الفلك البطالمة[٥٩١].

وكان البيزنطيون على دراية بنظرية كروية الأرض، وقد أشارت الملاحظات الفلكية إلى وجود

---

(589) Leo The Deacon, m History, PP.122-123.

(٥٩٠) ظاهرة الكسوف: تتعلق ظاهرة الكسوف بثلاثة أجزاء هي الشمس والقمر والأرض، فالقمر يدور حول الأرض بفلك محدد، والأرض تدور مع قمرها بفلك محدد حول الشمس وهذا ما تحدث عنه القرآن تعالى:(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) سورة يس، آية ٤٠، هذه المدارات تتشابك مع بعضها دون أي صدام، ولكن الذي يحدث أحيانا أن القمر يمر من أمام الشمس فيحجب ضوءها وهذا ما يسمى بكسوف الشمس وإذا أمر القمر أمام الشمس بشكل كامل يسمى كسوف كلي أما إذا حجب قسما من ضوء الشمس فهذا ما يسمى بالكسوف الجزئي.

انظر google منتديات ستوب، بنك ستوب للمعلومات.

(591) kazhdan, Change in By zantine Culture, P.150.

مفصل للكون على إنه وحدة داخلية مترابطة، ومتماسكة بمعنى أن الأرض والسماء كانوا متصلين[٥٩٢].

كما تصور البيزنطيون أن العالم طبقات، الطبقة السفلى الجحيم، والطبقة العليا السماء، ويتوسطهما سطح الأرض، وذكر ميخائيل أتالياتس أن النظام المركزي للشمس أو مركزية الشمس (أي أن الشمس مركز الكون) كان معروفا للبيزنطيين[٤]

والحديث عن علم الفلك يقودنا للحديث عن علم آخر حظي باهتمام البيزنطيين وهو علم الطبيعة.

علم الطبيعـة:

اهتم البيزنطيون بعلم الطبيعة، وكان أبرز رواد هذا العلم ميخائيل بسللوس، الذي كانت له رسالة عن الأسئلة الطبيعية وكان يرفض أن يرد كل شيء للعناية الإلهية وحاول أن يعلم معاصريه وقرائه الأسباب الطبيعية عن كل شيء في العالم حتى الأشياء البديهية والأكثر غرابة[٥٩٣].

فعلى سبيل المثال السؤال المتعلق بالمروحة وهو لماذا تجعل المروحة الجسد أهدأ وأبرد بينما يفترض أن الحركة قد تخلق الدفء.

والإجابة قد شرحها بسللوس كالآتي:

أن المروحة تزيل الهواء الدافئ بواسطة قرب الجسد منها مثلما الحال في البخار على الرغم من حركته أثناء ارتفاعه من الأرض إلا أنه يكون رطوبة تتجمع في السحاب ثم تسقط على الأرض على هيئة مطر أو برد.

وهناك سؤال آخر وهو لماذا نرى البرق قبل أن نسمع الرعد؟

ويجيب بسللول على ذلك قائلا:لأن العين بارزة والأذن مجوفة، وأعطى بسللوس إجابة أخرى على هذا السؤال وهي أن الصوت يتطلب وقتا لانتقاله بينما الرؤية غير معتمدة على الوقت.

وهنا يختلف عن أتالياتس الذي فسر هذه الظاهرة تفسيرا يدل إما على جهله، وإما مدى تأثره بالخرافات والأساطير وهو أن الرعد يحدث من صوت تنين هائل، لذلك فإن تفسيراته العلمية كان من الصعب الاقتناع بها[٥٩٤].

---

(592) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.151
(592) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, 150.
(593) Kazhdan Change in Byzantine Culture, P.154.
(594) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, PP.154-155.

ولعل بسللوس كان يحاول جاهدا أن ينأى بنفسه عن إعطاء تفسيرات قائمة على الخرافة أو المعجزة وكذلك بعيدة عن القدرة الإلهية، وكان الزلزال هو الظاهرة الوحيدة التي ينسبها بسللوس إلى الله (كما ذكرنا سابقا)[٥٩٥].

وهنا يتفق بسللوس مع ليو الشماس الذي كان يرى أن الله يحدث الزلزال حينما يرى البشر يتصرفون خلاف الشريعة السماوية، كي يقلعوا ويتجنبوا الآثام ويجتهدوا في الأعمال التي ينالون بها الثواب[٥٩٦].

وهناك وصف أتالياتس عن مجموعة قسطنطين التاسع والتي تتضمن كل من: الزرافة والفيل، وقد وصف الأخير بأن له أقدام تشبه أركان أطلس Atlas ومفاصل أقدامه بأنها عريضة مثل الحيوان الذي يستريح بالركود تحت الشجرة، وأذن الفيل كبيرة جدا مثل ترس قدم الجندي- كما أن مجموعة الوحوش التي ذكرها قسطنطين تناولها المعاصرين في طبعة أو نسخة القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري لكتاب "الحيوانات الهندية"

Indian Animales لـ تيموثيوس الغزاوي Timotheos of Gaza الذي أشار إلى ما يقرب من خمسمائة حيوان من الحيوانات الغريبة الموجودة في الهند ومصر وليبيا، وقد أحضرت الحيوانات للإمبراطور قسطنطين التاسع من الهند، وكانت أعجوبة بالنسبة لأهالي القسطنطينية[٥٩٧].

ومن الملاحظ أن الاهتمام بالأمور الطبيعية، لا يتناسب مع أهمية هذه العلوم، ويرجع ذلك لاهتمام العلماء في العصر المقدوني بالفلسفة والتاريخ وغيرها من الدراسات النظرية، وغرس ذلك في نفوس طلابهم فكثيرا ما كان بسللوس يأسف لعدم اكتراث تلاميذه الذين يسألونه دوما عن الزلزال وعن سبب ملوحة البحر، مع أن ذلك لن يفيدهم في كسب معاشهم[٥٩٨].

---

(595) Psellus, Chronographia, P.173
Kadelis, Hellenism, PP.204-206

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم
(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ). صدق الله العظيم.
سورة الرعد آية: (٢).

(596) Leo the Deacon, History, p.12.
(597)Kazhdan, change in Byzantine culture, p. 154.
(598) Lemerle, le Gouvernment, p. 217.

علم الكيمياء ***ALCHEMICAL***

ارتبط علم الكيمياء بعلم المعادن، وقد وصفه اليونانيون بالعلم المقدس، والفن العظيم، وأيضا الفن المقدس، وأطلق عليه أحيانا الكهانة(٥٩٩).

والحقيقة أنه لم يظهر اهتماما كبيرا بعلم الكيمياء في العصر المقدوني، وذلك إما لانشغالهم بالنواحي العسكرية والنظرية وإما لأن هذا العلم كان يدين المشتغل به.

وقد اتضح ذلك من الاتهام الذي كتبه بسللوس في حق البطريرك ميخائيل كيرلس Michael Keroullarios عن معرفته بالكيمياء وأنه قد كتب له بالتفصيل عن صناعة الذهب من المعادن الأساسية(٦٠٠).

ومن الواضح أن هذا يعتبر مثار نقد وجهه بسللوس للبطريرك أراد من ورائه التأكيد على أن البطريرك لا يستحق أن يتولى منصبا كهنوتيا لجهله بعلم اللاهوت واهتمامه بالأمور السالفة الذكر.

ويتأكد لدينا ذلك إذا علمنا أن علم الكيمياء ارتبط فيما بعد بأعمال السحر والتنجيم(٦٠١).

لذلك لم يظهر الاهتمام بعلم الكيمياء إلا فيما يخدم الناحية العسكرية وكانت المساهمة الوحيدة الكبيرة لبيزنطة هي النار الإغريقية وهي ذلك السائل القابل للاشتعال والتي احتفظوا بسرها(٦٠٢)، وقد تضمنت تكتيكا ليو السادس فصلا عن النار الإغريقية والحرب البحرية التي توضح بأن هذا السلاح المفزع كان لا شيء غيرالبارود، وقد سبقتها دراسة متخصصة عن النار الإغريقية في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري ولكنها كانت باللغة اللاتينية تناول فيها المؤلف ماركوس جرايكوس Marcus Graecus الوصفة القديمة لتحضير البارود، ويعتبر هذا الكتاب بداية التأريخ لصنع الألعاب النارية(٦٠٣).

ولكن هنا يراودنا تساؤل، وهو لماذا كتب هذا العمل باللغة اللاتينية؟

وللإجابة على هذا السؤال أمامنا احتمالين:

أولهما: إما أن يكون المؤلف لاتيني الأصل، ولم يكن على دراية باللغة اليونانية.

---

(599) Krumbacher, The History of Byzantine literature, p. 55.

(600) Kazhdan, Change in Byzantine Culture P.150.
Dennis, ArhetoricianPracticesLaw, P.191.

(601) Krumpacher, The History of Byzantine Literatuer, P55.

(٦٠٢) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص٢٨٧.

(603) Kumbacher, The History of Byzantine Literature, P.58.

وثانيهما: أن يكون السبب في ذلك رغبة البيزنطيين في الاحتفاظ بسر النار الإغريقية، لذا كتب العمل باللغة اللاتينية التي اندثرت فيما بعد في الدولة البيزنطية ولم تعد متداولة لذا كان من الصعب فهم الوصفات والتركيبات الواردة في هذا الكتاب، ومن ثم تمكنوا من الاحتفاظ بسرها.

وبذلك يتضح أن علم الكيمياء لم يكن موضع اهتمام إلا بقدر ما يخدم الدراسات العسكرية، ولم يكن من العلوم التي تساعد صاحبها في الوصول إلى المناصب العليا في الدولة، لذا لم يقبل المجتمع البيزنطي على دراستها إلا بقدر ضئيل.

علم الطب:

يذكر ابن الفقيه "بأن كانت لهم "البيزنطيين" معرفة بهذا العلم فيقول:

"**أما الطب فمعرفتهم بالطبائع، والجواهر وعلاج الحرارة والبرودة، وفصول المرة والبلغم بالعقاقير المسماة لهم**"(٦٠٤).

واقتصرت دراسة الطب الدقيقة على المحترفين أو الذين يرغبون في احتراف مهنة الطب، والذين تلقوا تدربا عمليا كاملا.

أما تعليم الناس فقد كان عاما مثل البطريرك قوتيوس وأنا كومنينا Anna Komnene فيما بعد- الذين قاموا بتشخيص أسباب الأمراض وذكروا وجهات النظر في علاجها(٦٠٥).

وكان من بين المئات من الرسائل والخطابات في هذه الفترة خطابان قصيران عن الطبيب فقد كتب فوتيوس مرتان عن الممارس لمهنة الطب وكان يقصد الطبيب أكاكيوس Akakios الذي كان طبيبا وراهبا

---

(٦٠٤) ابن الفقيه، ابي بكر احمد بن محمد الهمذاني، ت٢٩٠هـ -٩٠٣م، مختصر كتاب البلدان، تحقيق م.ي.دي خويه، ليدن، ١٣٠٢هـ-١٨٨٥م، ص١٩٤

نجلاء شيحة، مدينة القسطنيطينية، ص١٧٩.

(605) Baynes, Byzantium, PP.206-207

أناكومنينا: المؤرخة والابنة الكبرى للإمبراطور الكسيوس الأول كومنين Alexios I kommenos وخصصت كتاب الإلكسياد لوالدها واشتمل على السنوات من ١٠٦٩-١١١٨م، وهو مصدر رئيسي عن القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، خطبت لقسطنطين دوقاس Constantine Doukas الذي توفي في سن صغيرة، وتزوجت من تقفور بريينيوس Nikephoros Bryennios دخلت الدير وكتبت به الالكسياد وتوفيت عام ١١٥٣م

See Kazhdan, Oxford dictionary, Vol II, P.1142.
Rosser, Historical dictionary, P.234.

وربما كان معالجا للأمراض النفسية والروحية، أكثر من كونه معالجا للأمراض الجسدية[٦٠٦].

وقد كشفت لنا سير القديسين في القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري صورة الطبيب وتبين أن بعض القديسين قد تلقوا العلاج على أيدي الأطباء، ولكنهم لم يذكروا طريقة العلاج مما أدى إلى ندرة المادة العلمية.

وفي نهاية القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري وصف كتاب السير بالتفصيل صورة الأطباء الذين أصبحوا أكثر طمعا وأقل مهارة، ومن ثم فشلوا في علاج المرضى، لذا وجد هناك عداء شديد للأطباء حيث أصبح الطبيب مجرد دجال ومشعوذ، وامتنع عن علاج المرضى، حتى يحصل على مبالغ طائلة، ولذلك نصح المرضى أن يتجنبوا الأطباء وعقاقيرهم ويتجنبوا كل ما يطلبوه منهم من أكل وشرب من الأعشاب الهندية التي كانوا يصنعوها للمرضي[٦٠٧].

وليس معنى ذلك اندثار المعرفة الطبية في العصر المقدوني فقد ظهرت بعض الدراسات المتخصصة في عهد الأسرة المقدونية.

ففي القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري كلف الإمبراطور قسطنطين السابع Constantine V11 ثيوفانيس نونوس Nonnos Theophanes بجمع موسوعة طبية استند فيها على أورياسيوس Oribasios[٦٠٨]، وعالجوا مرض النقرس عن طريق التحكم في النفس من تناول الأطعمة[٦٠٩].

---

(606) Kazhdan, Change in Byzantine Culture P.155

وقد اختلف الأمر في القرن الثاني عشر الميلادي فقد وجه الكتاب دائما الخطابات للأطباء فقد مدح ميخائيل ايتاليكوس Michael Italikos أحد أصدقائه الأطباء كواحد من أعظم الاطباء والفلاسفة وكذلك ميخائيل شونينس Michael Choniates في خطابه للطبيب نيكولاس كالودوكس Nicholas Kalodoukes قد اقترح عليه مبدأن أساسيان للأمانة الطبية فعليه أن يراعي أولئك الذين يعانون من شدة المرض وخطورته ويعانون أيضا من فقرهم ومن أنهم غير قادرين أن يعالجوا أنفسهم بسبب الفقر وان لا يكن كل همه جمع المال. Kazhdan, Change in Byzantine Culture, p155.

وهذا بسبب ما انتشر في القرن العاشر الميلادي من جشع الأطباء وانصرافهم لجمع المال غير مباليين بالآلام المرضي.

(607) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.155.

(608) Krumbacher, The History of Byzantine Literature, P.51.

أورياسيوس: الطبيب وصديق جوليان julian المرتد عام ٣٢٥م، ذهب مع جوليان إلى غالة Gual عام ٣٥٥م، وكان معه عندما قتل في فارسPersia عام ٣٦٣م، وكتب عنه مذكرات فقدت و لكنها استعملت في تاريخ يناييوس Eunapios من ساردس Sardis الذي كتب سيرة ذاتية قصيرة عن أورا سيوس وعلق اورياسيوس على كتاب جالينوس Asummaryالذي اعتمد عليه كثيرا من الأطباء البيزطيون والعرب وقد توفى بعد عام ٣٩٥م أو ٣٩٦م.

See Kazhdan, Oxford dictionary, Vol, III, P.1533.

Rosser, Historical dictionary, PP.303-304.

(609) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.156.

وقد وجدت دراسة عن المميزات والعيوب لأنواع المواد الغذائية المختلفة، وتناولت الدراسة السيدة الحامل وكيفية رعايتها ورعاية طفلها، وكان هناك العديد من الدراسات عن التأملات الطبية العديدة قدمها بسللوس[٦١٠]، الذي كان على دراية بمرض الشلل وداء الفيل وكان يرى أن هذين المرضين يصيبان شاهد الزور[٦١١].

ويحتمل أن بسللوس أراد أن يحذر من شهادة الزور فربط بينها وبين هذا المرض كعقوبة من الله تصيب من يقوم بهذا العمل.

وهنا نجد بسللوس يتخلى عن مبدأه السابق في عدم رد أي شيء إلى الله ومحاولته الدائمة رد ذلك لأسباب الطبيعة، وهذا يرجع إلى طبيعة بسللوس التي تميل إلى التناقص أحيانا.

وقد ترك لنا بسللوس وصفا عن مرض ابنته ستيلياني يعكس لنا إلمامه بالمعلومات الطبية وتشخيصها فقد وصف مرض ابنته وصفا إكلينيكيا دقيقا ومحددا، ولكنه جهل السبب الحقيقي للمرض الذي كان لا يستجيب للعقاقير التقليدية المستخدمة في علاج الأمراض الأخرى الناتجة عن الأغذية المضرة، أو الأخلاط السيئة أو زيادة مادة موجودة بداخلنا أو جروح في أماكن متفرقة تصيب البدن لكن هذا المرض كان مختلفا تماما، فلم ينتج عن أي من تلك الأسباب، بل حدث نتيجة لخلل في النخاع ومن العظام حيث يصاب المريض في البداية بالحمى، ثم بعد أن تنتشر تحت سطح الجسم على شكل عناقيد تسبب تورم الجلد في شكل بثور تدمر تناسق الجسم كله وفي اليوم العشرون تبدأ الجروح في الالتئام. وتتساقط القشور وكأنها فشر سمك، ولكن هذا التحسن لم يدم طويلا فسرعان ما تعود الحرارة للارتفاع، وتأكل الحمى ما تبقى من الجسد[٦١٢].

مرض النقرس: نوع من أنواع التهابات المفاصل يحدث بسبب ترسيب أملاح اليورات في أنسجة المفاصل وما يحيط بها من غضاريف وعضلات، وهذا الترسيب يتسبب في حدوث التهابات ويمكن علاج هذا المرض بتجنب الدسمة والدهون واللحوم والتوابل.

للمزيد انظر الموسوعة الطبية.

www.elazayem.com/new-page187, htm google

(610) Kazdan, Change in Byzantine Culture, P.156.

(611) Jannou, m Demonologie populaire, p.46.

(612) Leroy, Molinghem, "A. Styliane, " "B39 (1969) PP.77-80.

هذا المرض هو مرض الجدري.

هذا هو الوصف الذي ذكره بسللوس عن مرض ابنته ونلاحظ أن بسللوس أعد وصفا دقيقا لمرض ابنته لكنه لم يستطع معرفة اسم المرض، ولا حتى العلاج منه؟

ولكنه ترك لنا تقريرا توصل من خلاله إلى معرفة هذا المرض الذي هو "مرض الجدري".

وبالإضافة إلى هذه المعرفة الطبية والمستندة على نظريات علمية طبية، ظهر نوع آخر من العلاج القائم على المعجزات فقد أشارت سير القديسين إلى العديد من حالات المرض التي تلقت العلاج على أيدي القديسين أحياء وأمواتا.

فقد تمكنت القديسة توماس الليسبوسية أثناء حياتها من علاج أثنيتين من البغايا من الأمراض النسائية، وان كانت عالجت رجالا أكثر من النساء[٦١٣]، وكان هناك طفل رضيع أحضرته والدته إلى تابوت القديسة أثاناسيا تتلمس شفاء من فقدان البصر والشلل الذي أصاب يديه ورجليه، وكذلك الطفل الذي كان في الثانية عشرة من عمره، وكان يعاني من شلل في ساقيه فذهب إلى ضريح القديسة كي ينال الشفاء[٦١٤].

وكثيرا أرجع كتاب الهجيوجرافيا (سير القديسين) أسباب الحالات إلى مس شيطاني يتم علاجها عن طريق القديسين.

ومن ذلك ما ورد في سيرة القديسة ماري الصغرى من سيطرة الشيطان على امرأة من بلدة ميديا medeia لذا قادها أقربائها إلى قبر القديسة وبمجرد وصولها شفيت وعادت إلى بينها سعيدة[٦١٥]، وأشارت سيرة القديسة توماس الليسبوسية إلى أن رجل من نيقوميديا Nikomedians هاجمه شيطان عنيف وركض

مرض الجدري: هو أول مرض ينتصر عليه البشر لقد فتك الجدري وشوه وسبب العمى لملايين الضحايا وينشأ الجدري نتيجة للعدوى بفيروس ينتقل من المصابين إلى الأصحاء ويظهر طفح يشبه البثور على جلد المريض، ثم تتكون قشرة على البثور ما تلبث أن تسقط تاركة ندبه في مكانها وليس للجدري علاج، كما يموت ٢٠% من ضحاياه، ويصاب البعض بالعمى وفي سنة ١٩٧٦م، قام الطبيب الانجليزي إدوارد جينز بتحضير أول لقاح ضد الجدري، وبحلول أربعينات القرن السابق، اختفى الجدري من أوربا وأمريكا الشمالية، وفي سنة ١٩٦٧م، بدأت منظمة الصحة العالمية في تنظيم حملة للقضاء عليه.

وفي سنة ١٩٧٧م، ظهرت آخر إصابة بالجدري في الصومال، وفي سنة ١٩٨٠م، أعلنت المنظمة أنها نجحت في القضاء على المرض.

للمزيد انظر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، جدري Ar.wikipedia.org/wiki/

(613) Life of St, Thomais of Lesbos, P.294.
(614) Life of Athanesia of Aegina, P.155.
(615) Life of St. Mary the Younger P.282.

إلى تابوت القديسة يلتمس المساعدة وبعد بقائه هناك وقت قصير حاول خلاله التماس الخلاص من الشيطان الذي عذبة وبالفعل تحقق له ما أراد وشفى تماما[٦١٦].

ولم يقتصر الأمر على الكبار بل شخصوا الأمراض التي أصابت الأطفال أيضا على إنها مس شيطاني.

فذكرت لنا سيرة القديسة أثاناسيا أن طفل في الثامنة من عمره أصابه مس شيطاني، وجعله يرى في يده عصفور أسود اللون يأتي ويجلس على يديه، وبعد ذلك يحدث شلل لليد فأحضر الطفل إلى قبر القديسة أثاناسيا وبقي في آثارها سبعة أيام كاملة، وكذلك فتاة في الثانية عشرة من عمرها امتلكتها روح شريرة وجعلتها تسقط على الأرض فأسرعت الفتاة إلى ضريح القديسة، وبعد قضاء أربعين يوما هناك غادرت في صحة جيدة[٦١٧].

وإيضا قصة الطفل الذي كان مثل بقية الأطفال يسرع حول كوم نفايات وسط المدينة، وكان يركض ذهابا وإيابا في محاولة لصيد الطيور، وقد نظر حوله، فوجد أثيوبي (لفظ كان يطلق على الشيطان أحيانا) الذي ظهر فجأة وكان كبير وطويل جدا وأفزعه فأراد الطفل الهروب لكن الشيطان انقض عليه بكلتا يديه وقذفه على الأرض وعندما عاد الولد لوعيه ركض إلى بيته مفزوعا وأخبر والدته بذلك فأحضرته إلى ضريح القديسة وظل هناك بضعة أيام[٦١٨].

والحقيقة أن هذه الروايات أكدت على بقاء الممسوس في الضريح بضعة أيام حتى يتعافى مما يدل على أنه في هذه الفترة كان يتناول أدوية معينة لم يذكرها كتاب السير من أجل ثبات قدسية لأبطالها.

ومن المحتمل أن يكون الشفاء مبني على نوع من العلاج المتعارف عليه الآن بالعلاج بالإيحاء فنظرا لتواتر المعجزات وحكايات الشفاء كان المريض وذويه يذهبون إلى هناك وهم على قناعة تامة أن الشفاء سوف يكون على يدي القديسة الأمر الذي ساعد في مسألة الشفاء، ومما يرجح هذا الاعتقاد ما ذكر من أن أغلب الأمراض السالفة الذكر كانت أمراضا نفسية.

وهناك احتمال آخر وهو أن تكون القديسات على دراية بفنون الطب الذي علموه للراهبات الأخريات

---

(616) Life of St Thoma of Lesbos, P.294.
(617) Life of St Athanaisa Of Aegina P.155.
(618) Life of St Theodora of Thessalonkie PP.207-208.
اقتصر البحث على الإشارة لهذه القصص كنماذج للطب أو العلاج القدسي الذي اتجه إليه البيزطيين.

اللاتي أشرفن على علاج المرضى بالتعاون مع القديسة أثناء حياتها أو بعد وفاتها "وقد أشارت سيرة القديس لازاوس أن لديه بعض المعرفة الطبية"(٦١٩).

أما بالنسبة لأماكن العلاج فلم يتوصل البحث إلا ما ورد من أشارت في تيبكا الأديرة عن احتوائها على أماكن مخصصة لرعاية المرضي والمسنين(٦٢٠).

بالإضافة إلى المستشفيات التي اهتم أباطرة الأسرة المقدونية بها والتي منها:

مستشفى القديس زويتقوس St.Zotikos الذي قام الإمبراطور يوحنا تزيمسكس بتجديده وأضاف إليه بنايات جديدة لمعالجة مرضى الجذام(٦٢١).

وكذلك المشفى الذي بناه الإمبراطور رومانوس الثالث أرجيوس في القرن الحادي عشر الميلادي، وألحقه بدير بيربليبتوس Peribleptos الذي شيده في نفس الفترة وأوقف عليه أوقافا كثيرة(٦٢٢).

أما بالنسبة لرواتب الأطباء في دور الرعاية الطبية فكان تدفع نقدا وعينا (قمح أو أي نوع) آخر من المحاصيل وذلك طبقا لمناصبهم ومكانتهم، بينما كان الأطباء والمساعدين يحصلون على أرباح أو حوافز شهرية(٦٢٣).

---

(619) Life of St Lazaros, P.53.

(٦٢٠) وفي القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري حيث وجدت مستشفى في مؤسسة يوحنا الثاني John II في الدير الذي كان خاص به، وتحتوي هذه المستشفى على ما يقرب من خمسمائة سرير بعضهم لحالات خاصة فيخصص عشر سرائر للجراحة وثمانية منها في خدمة الأمراض الخطيرة واثنتي عشر في خدمة السيدات، وكل سرير مزود بسجادة ومرتبة وفراش ووسادة وكوفرته وبطنيتين للشفاء وفراشات خاصة لخدمات الحالات الثابتة أو المرضى المتواجدين بشكل ثابت وكل المرضى مزودين بملابس أو زي إجباري موحد لكل المرضى الموجودين بالمستشفى وهي عبارة عن جواكت، وكل هذه الملابس تغسل وتسلم لهم بعد شفائهم وكان يوجد اثنان من الأطباء وثلاثة من الممارسين واثنان من الممرضات في خدمة أو محددين لرعاية كل الرجال وأيضا اثنان من الطبيبات وواحدة من الممارسات الطبيبات في خدمة ورعاية السيدات وأيضا كان يوجد هناك العديد من الأطباء والجراحين في خدمة الرعاية الخارجية للمرضى الذين في حالات الطوارئ.

See Kazhdan, Change in Byzantine Culture PP.156-157.

(621) Leo The Deacon, History, P.149.

وجد مشفي القديس زويتقوس في القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطيوس Constantios (٣٣٧-٣٦١م) أحياء لذكرى القديس زويتقوس الذي كان مهتما بمرضى الجذام.

محمد زيد، طبقة العامة، ص١١٨.

(٦٢٢) سعاد عبد الحميد، التنظيمات الديرية، ص٨٦.، محمد زيد، طبقة العامة، ص١١٨

محمد زيد، طبقة العامة، ص١١٨.

(623) Kazhdan, Change in Byzantine Culture, P.157.

وبذلك نجد أن الطب في العصر المقدوني كان موضع اهتمام وأقبل البعض على دراسته وهناك من امتهن مهنة الطب وإن لم توجد معلومات كافية عنهم، كما عرفوا وشخصوا بعض الأمراض التي قاموا بعلاجها بقدر المستطاع وظهر إلى جانب العلاج الطبي العلاج ببركة القديسات عن طريق زيارة أضرحتهم والمكوث بها بعض الأيام.

والخلاصة أن العلوم العلمية كانت من العلوم التي سادت في العصر المقدوني وأقبل العلماء على دراستها ولكنها لم تكن بالقدر الذي حظيت به الدراسات النظرية والتشريعية والعسكرية وذلك لأنها تؤهل الدارس لها من الوصول إلى المناصب العليا بخلاف العلوم العلمية التي كانت في بعض الأحيان مثار نقد لمن يهتم بدراستها لذا اكتفوا فيها بدراسة النظريات القديمة ولم يضيفوا لها الكثير.